الشعوبية في ميزان الجاحظ

علي بن محمد*
أمحمد أبو القاسم محمد المزوغي

Abstract: *The objective of this article is to answer one basic question, which is: what are the roles played by the thinkers of Islam in dealing with racism happenings during the period of the Abbasid? This article had chosen al-Jahiz as an example of those who tried to prevent the dangers of racism by explaining its consequences on the reality of Muslim community. This article tries to highlight the views of al-Jahiz and their impact in rejecting the views of racists' groups, which were related to several issues that they tried to manipulate in order to bring turmoil and unrest to the Muslim community. This article will present a number of views forwarded by al-Jahiz in regard of the military organisation of Abbasid Caliphate. In this case, it is highlighted that racism is not confined to the aspect of language alone, but also include aspects of terminology and politics. Among the main factors clarified in this article are, 1. racism and the origin of its term, 2. the point in time of racism movement, 3. the military organisation of the Abbasid Caliphate, 4. the attacks of racists groups towards Arabs and Muslims, 5. al-Jahiz's rejection of the racism attacks, 6. the weapons and evil tactics of the racists' groups.*

Keywords: *Racial understanding, views of al-Jahiz.*

---

*Jabatan Sejarah dan Tamadun Islam Akademi Pengajian Islam Universiti Malaya (APIUM), Kuala Lumpur, Malaysia 50603 e-mail:alimohd@um.edu.my.

الشعوبية في اللغة [1] من شعب: الشعب : الجمع، والتفريق والإصلاح والجمع شعوب : القبيلة العظيمة وقيل الحي العظيمُ يتشعب من القبلية وقيل هو القبيلة نفسها والجمع شعوب والشعب : أبو القبائل الذي ينتمون إليه أي يجمعهم ويضم وفي التنزيل العزيز ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾،[2] والشعوب الجماع، والقبائل البطون، بطون العرب، والشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم، وكل جيل شعب وغلبت الشعوب، بلفظ الجمع على جيل العجم، حتى قيل لمحتقر أمر العرب: شعوبي، أضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد. والشعوبية اصطلاحاً[3] هي فكرة سياسية أدبية اتخذت الدين شعاراً لها وتمخضت عن حركة بعضها أدبي والآخر ديني، وثالث عملي و مبعثها الصراع بين غير العناصر التابعة للدولة العربية الإسلامية أي تيار فكري وسياسي معاد للحضارة الإسلامية ومحتقر لقيمتها، مثلته في التاريخ القديم والحديث بعض الأقليات والشعوب التي تضررت من قيام الدولة الإسلامية وتألقها. ويعد الجاحظ من أوائل مفكري الإسلام الذين تنبهوا لخطر الشعوبية على الإسلام والمسلمين داعياً إلى مقاومتهم وألف الجاحظ كتاباً[4] أطلق عليه الشعوبية ولكنه لم يصلنا، إلا أن كتاباته الأخرى عن الشعوبية التي تناثرت هنا وهناك مابين رسائله أعطت صورة واضحة عن أهم آرائه في الشعوبية. ونعتهم الجاحظ بالشعوبية "ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التوسية،[5] حيث إن الشعوبية احتجت بذكر التسوية[6] لقوله تعالى﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾،[7] فلم يستثن من جميع النفوس نفساً واحدة، لا ابنة نبي ولاغيرها، وقوله تعالى﴿ يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾،[8] والمولى[9] كلمة واقعة على جميع، فمنه ابن عم المرء ومنه خليفته، ومنه مولاه من فوق، ومنه مولاه من تحت، ومنه مولاه الذي ملكه قبل عتقه، فإذا قال الله تعالى﴿ يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾ فقد دخل فيه ابن العم وغيره، و لم يستثن الأنبياء دون

المسلمين. وكذلك احتجت الشعوب بقوله ﷺ[10]:المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ولذلك قالﷺ: الناس كلهم سواء كأسنان المشط، والمرء كثير بأخيه ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه.

وذكر الجاحظ أن الشيعة احتجت على عمر بن الخطاب[11] بأنه لم يعمل بالتسوية بين الموالي والعرب وذلك لأنه فضل العرب في العطاء على الموالي وفضل القرشيات من نساء النبي ﷺعلى غيرهن، وكذلك قام بتعظيم أمر العرب وتهجين أمر العجم، وكان رده العثمانية[12] على أغلبها كما ذكره الجاحظ الآتي : يقول الجاحظ أنه لم يكن على ظهر الأرض رجل كان أبعد مما قالت الشيعة من عمر ولا ظهر منه خلاف ما ادعوا - مثل الذي ظهر منه والدليل على خطأ قولهم هو: أوّلاً- الرد على الشيعة بأن عمر ﷺ فضل العرب في العطاء على الموالي بأن عمر لما فرض الأعطية ودوّن الدواوين أشار عليه،[13] رهط من قومه بأنه إن فعل ذلك أتكل الناس على الديوان وتركوا التجارة، والمعاش فرد عمر بقوله كثر الفئ والمسلمون، ففرض للمهاجرين ومواليهم، وللأنصار ومواليهم قدراً من الأعطية،[14] ثم "فرض على قدر الفضل الغناء والسابقة، على قدر بعد الدار وقربها من المهاجر"،[15] ففرض لأهل اليمن في السبعمائة إلى الألف، وذلك لبعدهم عنها في المسافة والأرحام والنسب، وبالرغم من ذلك زهدوا في قراهم ومزارعهم وأملاكهم رغبة في الهجرة، وكذلك فرض لإشراف الأعاجم في ألفين، وفرض لسوى هؤلاء النفر من العجم من الحاشية العوام ممن سبي وأسر في الصلح مع رئيسه وقائده، في أقل مما فرض للأعراب وحاشية العرب وعوامهم، فقيل له في ذلك فقال : إن الأعرابي إلا يقاتل عن دينه يقاتل محاماة عن حسبه وأصحابه، وقد أمنت تحوله إلى عدوه، والعجمي ليس بذي نصرة في الإسلام ولا يقاتل عن داره ولا يحامي عن حسبه ولا يدافع عن رهطه وغير مأمون عليه التحول إلى أصحابه فيدل على العورة، وهو أجدر ألا يفهم تزيلاً ولا تأويلاً،[16] مما يتبين ذلك أن يفضل عمر ﷺ العرب عن

الأعاجم في العطايا لم يكن بدافع من العصبية أو المقت للأعاجم بل جاء رأيه هذا بناء على خبرته بهؤلاء ومما لاشك فيه أن شيم العرب وأخلاقهم الأصيلة النبيلة كانت سجية فيهم سبقت تدينهم وهي التي دعت عمر لفعل ذلك. ثانياً- الرد على الشيعة بأن عمر بن الخطاب استهجن أمر العجم وعظم أمر العرب يقول الجاحظ ومن الدليل على ما وصفنا من تدبير عمر، تركه الاستخفاف بأقدار العجم وإظهار احتقارهم والازدراء بهم، والدليل الذي ليس فوقه دليل قوله وعنده أصحاب الشورى وكبار المهاجرين وجلة الأنصار وعليه العرب، وهو موف على قبره ينتظر خروج نفسه : لو كان سالم حياً ما تخالجني فيه الشك، وسالم مولى امرأة من الأنصار، وكان حليفاً لأبي حذيفة بن عتبة بمكة، فلذلك كان يقال : مولى أبي حذيفة لأن حليف الرجل مولاه، فإن كان هذا لايدل على التباعُد من الحمية والأعرابيَّة والعصبية، ولا يدل على التسوية، فما عندنا ولا عند أحدٍ شيء يدل على شيء؟ وإذا كان هذا مذهبه وقوله في الخلافة فما ظنك به فيما دون الخلافة،[17] عمر العديد من المواقف التي تظهر أنه لم يكن متعصباً إلا أن حقيقة الأمر خلاف ذلك بدليل قول الجاحظ: وهكذا تدبير الخلفاء ولكن أكثر الناس لايعلمون ولو كانوا إذا لم يفهموا عن الأئمة لم يتعرضوا عليهم و لم يخطئوهم و لم يجهلوهم كان أيسر،[18] يتضح من حنكة سيدنا عمر وحسن تدبيره لأمور الخلافة وأن عدم فهم الناس لذلك التدبير لعدم إحاطتهم بأصوله جعلتهم في مرية من ذلك التدبير، و لم يكتفوا بعدم الفهم بل تمادوا إلى حد الاعتراض على ذلك التدبير بدافع من الجهل بتلك الأمور، مما زاد الأمر سوءاً، ويرى الجاحظ لو أنهم لم يفعلوا ذلك لكان الأمر أيسر على الأئمة بصفة عامة على حد سواء، وأن سيدنا عمر عمل بالتسوية بين العرب والأعاجم هذا فيما يختص باحتجاج الشعوبية بالتسوية في أيام الخلافة الراشدة ورأى الجاحظ فيها.

أما عن الظهور الفعلي للشعوبية بصفتها حركة خطيرة تهدد الإسلام في العصر العباسي (١٣٢هـ/٧٤٩م) حيث طغى وجود الأعاجم،[19] في

الحياة السياسية فكان منهم الوزراء والقواد وكتّاب الدواوين لهذا يقول الجاحظ: دولة بني مروان عربية أعربية ودولة بني العباس أعجمية خراسانية،[٢٠] مما يتبين ذلك أن دولة بني العباس،[٢١] أصبحت أعجمية خراسانية بعد أن كانت في زمن الأمويين أعرابية بتسليم مقاليد الأمور في أيدي الفرس، وكان جند الخلافة العباسية من الخراسانيين والأتراك، والموالي، والعرب حيث ذكر الجاحظ[٢٢] مخاطباً الفتح بن خاقان وذكرت أبقاك الله أنك جالس أخلاطاً من جند الخلافة، وجماعة من أبناء الدعوة، وشيوخاً من جلة الشيعة، وكهؤلاء من أبناء رجال الدولة... والمنسوبين إلى الطاعة والمناصحة، والمحبة الدينية، دون محبة الرغبة والرهبة، وأن رجلاً من عرْض تلك الجماعة، ومن حاشية تلك الجلة" ولم يذكر من يكون "ارتجل الكلام ارتجال مستبدّ وتفرد به تفرد معجب، وأنه لم يستأمر زعماءهم، وأنه تعسف المعاني وهجم على الألفاظ، وزعم أن جند الخلافة اليوم على أربعة أقسام : خرساني وتركي ومُولي، وعربي ، وأنه أكثر من حمد الله وشكره على إحسانه ومننه... حين ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة، والأجناس المتباينة، والأهواء المتفرقة وأنك اعترضت على هذا المتكلم المستبد، وعلى هذا القائل المتكلف، الذي قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان، وفضل بين أنسابهم، وفرق بين أجناسهم، وباعد بين أنسابهم الأمر الذي يُفهم من النص إشارة الجاحظ إلى اللحمة الجامعة التي نادى بها العباسيون لتكون رابطة توحدهم وهي الطاعة والمحبة الدينية أما قول جماعة من أبناء الدعوة وشيوخاً جلّة الشيعة فهو يعكس الأوضاع السياسية التي صاحبت قيام الدولة العباسية حيث كانت العلاقة بين بني هاشم، وعلويين، وعباسيين تقوم على الود والصفاء وكان البيتان متحدين على العدو المشترك وهو بني أمية، إلى أن انتقل حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بنزول أبي هاشم محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية،[٢٣] وذكر الجاحظ[٢٤] أن الدعوة العباسية انتظمت في الشام.[٢٥]

أما عن جند الخلافة العباسية فسيتم تناولهم تباعاً وبالتفصيل، أوّلاً،

الخراسانيون، كان للفرس دور مهم في قيام الدولة العباسية حيث ذكر الجاحظ،[٢٦] بأن الخرسانيين يتفاخرون بأنهم نصروا العباسيين ضد الأمويين عندما ثاروا بقيادة أبي مسلم الخرساني[٢٧] (١٣٧هـ-٧٥٤ م) وزحفوا نحو الشام لإسقاط الدولة الأموية وبأنهم هم الذين ذكرهم وذكر شجاعتهم محمد بن الحنفية، حيث أراد توجيه الدعاة إلى الأفاق، حيث قام محمد بن علي ببث الدعاة في الأمصار سراً وعلانية قبل حدوث الثورة التي بموجبها أسقطت الدولة الأموية.

وذلك لجمع أكثر عدد ممكن من المساندين لثورته من آل البيت عامة وذلك في قولهم : نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء، ومنا الدعاة، قبل أن تظهر نقابة أو تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباراة،[٢٨] ويقول الخراسانيون نحن على وتيرة واحدة، ومنهاج غير مشترك نعرف بالشيعة وندين بالطاعة ونُقتل فيها ونموت عليه، سيمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن أصحاب الرايات السوَّد، والروايات الصحيحة والأحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة، ويترعون الملك من أيدي الظلمة، وفينا تقدم الخبر وصح الأثر[٢٩] فما يبين ذلك دور الفرس في نشر مبادئ الشيعة وترسيخها وتأييد الدعوة العباسية بترع الملك من أيدي الأمويين، وكذلك يتضح من النص دور الفرس في نسج الأحاديث والروايات التي أحتج بها الشيعة لإثبات أحقيتهم بالإمامة، وللفرس أسبابهم الخاصة التي دعتهم إلى نصرة العباسيين والوقوف معهم ضد الأمويين، حيث ذكر الجاحظ: على حد قول الفرس بأنهم تعرضوا للقتل والتشريد والنهك ضرباً ورأوا ألواناً من العذاب على أيدي الأمويين،[٣٠] وذكر أحد الباحثين،[٣١] أن الموالي من الفرس باستثناء طبقة الدهاقين وهم ملاك الأرض من الفرس الذين أسند الأمويين إليهم المناصب الإدارية الهامة واستأثروا بجباية الخراج فتمتعوا بنفوذ كبير يرون في نصرة بني هاشم الخلاص الكبير لهم من الحكم الأموي، وكذلك لأن نظرة العرب إليهم كان يشوبها الاحتقار حتى إنهم أطلقوا عليهم اسم العلوج واعتقدوا بأن اعتناقهم الإسلام

لم يسو بينهم وبين العرب، وكذلك مما تفاخر به الفرس أن منهم الاثنا عشر النقباء والسبعون النجباء نسبة إلى السبعية الإسماعيلة... وبأنهم نصروا ورثة النبي ﷺ في آخر الزمان بعد نصره ﷺ الأوس والخزرج في أوّل الزمان، وبأنهم صار لهم نسب لا يعرفون إلا به.[٣٢]

ما بين ذلك أن الأئمة من الشيعة بتسمية الإثنا عشرية الشائعة الآن في بلاد فارس، وطائفة الإسماعيلية لا يمثلون النبوة فقط بل يمثلون الملك أيضاً. ثانياً، الأتراك، كان من أثر السياسة التي سار عليها المعتصم (٢١٨-٢٢٧/٨٣٣-٨٤٢م) سابع خلفاء بني العباس،[٣٣] في الاستعانة بالأتراك، حيث أجزل الهبات والعطايا لهم دون غيرهم،[٣٤] أن دب في نفوس العرب دبيب من الغيرة والحسد لهؤلاء الأتراك حيث ذكر الطبري،[٣٥] أنه نتيجة لتفضيل الأتراك على العرب أن قام أحد القواد العرب بثورة على قواد الأتراك الذين أسأوا معاملة العرب بقيادة عجيفة إلا أن المعتصم استطاع القضاء على هذه الثورة، خصوصاً وأن تلك الثورة أرادت الإطاحة بالمعتصم كذلك.

و كانت رسالة الجاحظ التي وجهها إلى المعتصم وجاءت بعنوان *مناقب الترك* نوعاً من التقرب الذي أبداه الجاحظ للمعتصم مظهراً بذلك ولاه ومناصرته للمعتصم، وذكر الجاحظ حركات[٣٦] الشعوبيين في المشرق الإسلامي وكيف أنها خرجت من البدعة والضلالة إلى حد الكفر ومن ضمن ما ذكر من تلك الحركات حركة بابك الخزمي،[٣٧] التي حدثت في زمن المعتصم أو بالأحرى اشتدت شوكته في أيام المعتصم حتى قضى عليه المعتصم سنة ٢٢٣هـ. أما عن مفاخر الأتراك ذكر الجاحظ[٣٨] أن الأتراك تفاخروا بأنهم أصحاب خبرة وحكمة وحنكة بشؤون الحرب، ولكن الأمر البين من خلال ذكر الجاحظ لمناقب الأتراك[٣٩] أنه بالغ في ذكر محاسنهم وأطنب في ذلك مبرراً اصطناع المعتصم للأتراك عندما تولى الخلافة لشدة بطشهم وصبرهم على القتال وأنهم شاركوا العرب، وأن ولاء الأتراك لباب قريش، كالجوهر المكنون والذهب المصفى والعين في الرأس،

والروح من البدن وهم الأنف المقدم والسنام الأكبر والدُّرة الزهراء، والروضة الخضراء وشاركوا العرب في أنسابهم، والموالي في أسبابهم وفضلوهم بهذا الفضل الذي لا يبلُغه فضل وإن برع الأمر الذي يفهم من ذكر أن الأتراك صاروا في هذا المقام من العرب بسبب الحلف والنسب، وذكر أحد الباحثين،[٤٠] تبريراً لموقف الجاحظ من الأتراك، يرى فيه الباحث التبرير المنطقي لموقف الجاحظ يرى فيه أنه كانت للأتراك في الدولة الكلمة المسموعة، فصبا الجاحظ إلى أن يوفق بين المصلحتين، مصلحة الدولة في القضاء على اتحاد العناصر في جيشها، والخوف من هؤلاء الأتراك وبدت طلائع سلطانهم، وتجلى بطشهم وفتكهم، وكادت تعرف مراسيهم وعلى هذا كان الجاحظ على بعض الصواب في كتابه هذا أي *مناقب الترك* و إلى معذرة فيما موَّه فيه فقد نفع نفسه بأن أرضى الأتراك، ونفع دولته بأن عمل على التهدئة من الأفكار الثائرة. ثالثاً، الموالي، يرى الجاحظ أن الموالي[٤١] بالعرب أشبه وإليهم أقرب وهم أمس لأن السنّة جعلت منهم، وأن الموالي أقرب للعرب في كثير من المعاني لأنهم عرب في المدَّعي وفي العاقلة وفي الوراثة وعن مفاخر الموالي يقول الجاحظ تقول الموالي: لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة، ونحن موضع الثقة عند الشدة وعلّل المولى من تحت موجبه لمحبة المولي من فوق لأن شرف مولاه راجع إليه،[٤٢] أي أن المولي يستمد وضعه الاجتماعي من وضع سيده، وبالتالي تصبح له مكانة تكاد تقترب من مكانة سيده والدليل على ذلك ما ذكره الجاحظ،[٤٣] عن بعض السادة من العرب الذين كانوا يخصون مواليهم بالمواكلة والبسط وألا يناس ولا يبهرجون الأسود لسواده، ولا الدميم لدمامته ولا الصناعة الدنيئة لدناءتها، ويوصون بحفظهم أكابر أولادهم، ويجعلون لكثير موتاهم الصلاة على جنائزهم، وذلك بحضرة من العمومة وبني الأعمام.

ومما يفجر به الموالي ويحتجون به،[٤٤] إكرام الرسول ﷺ لزيد بن الحارثة مولاه، وحبه ﷺ لأسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب، وعقده له على عظماء المهاجرين وأكابر الأنصار

وكذلك يفخر الموالي بأنهم لأقرب للرعية وإلى طباع الدهماء، وهو بهم أكثر أنساً، وإلى لقائهم أحن وهم أرحم وعليهم أعطف، وبهم أشبه لكثرة اختلاطهم بهم. رابعاً، العرب، يرى الجاحظ أن العرب أمة واحدة لا يوجد بينهم اختلاف واستووا في التربة وفي اللغة، والشمائل والهمة، وفي الأنف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، وبالتالي سبكوا سبكاً واحداً وإفراغاً واحداً، وكان القالب واحداً، فتشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط، فكان النسب والمصاهرة فيما بينهم فازدادوا وتشابكاً وتقارباً عما كانوا عليه أوّلاً.

و كان الجاحظ[٤٥] يهدف من إيراده لخصال ومفاخر كل فئة من جند الخلافة العباسية إلى أبرز اللحمة الجامعة التي نادى بها العباسيون لتكون رابطة توحدهم وهي الطاعة والمحبة الدينية، وأنه لا فرق بين الخرساني والتركي لأن الاختلاف بينهما لايعد وكونه كالاختلاف بين المكي والمدني والبدوي والحضري، أي أنه ليس اختلافاً بين الأعراق والأصول لأن الأعراق في الأصل إن لا تكن راسخة فقد كانت متشابهة، بالإضافة إلى الحدود المكانية التي اشتملت عليهم بحيث جعلتهم يشتركون في الكثير من السمات، والجاحظ[٤٦] بدوره يؤكد على اتفاق الأعراف والأجناس التي تتشكل منها الدولة العباسية، فليس الاختلاف في الاسم دليلاً على الاختلاف في الحقيقة والروابط التي توحدهم هي الولاء والحلف والأصل الواحد لجميع البشر آدم وحواء، وذلك لجمع الكلمة و لبث الألفة بين القلوب ولكي تسلم الصدور.

ويرى الجاحظ[٤٧] "أن الله تعالى طبع البشر والبرية أجمعين على خصائص وسمات معينة من الأشكال والصور على ذلك فالبنوي خراساني وإذا كان الخرساني مولى والمولى عربي – فقد صار الخرساني والمولى والعربي واحداً، والأتراك خراسانية وموالي الخلفاء قصرة وبذلك صار التركي إلى الجميع راجعاً، وصار شرفه إلى شرفهم زائداً، وأن الحسد والتنافس يكون بين المتقاربين في القرابة والمجاورة، ويصل الجاحظ إلى نتيجة مؤداها أنه ليس يجوز أن تصفوا الدنيا وتنقى من الفساد والمكروه حتى يموت جميع

الخلائق، وتستوي لأهلها وتتمهد سكانها على ما تشتهون يهون، لأن ذلك من صفة دار الجزاء، وليس كذلك صفة دار العمل.[٤٨]

رد الجاحظ على مطاعن الشعوبية على العرب

يرى الجاحظ أن الشعوبية حمل لواءها العجم والموالي وتقوم على تفضيل سائر الشعوب على العرب وحجتهم في ذلك أن العجم حين كان فيهم الملك كانوا أشرف من العرب ولما حول ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم وبالحديث الذي صار لهم،[٤٩] أي أن العجم كانوا أشرف من العرب قبل الإسلام لأن الملك فيهم، ولما جاء الإسلام سوى بينهم وبين العرب.

و وقف الجاحظ ضد دعوى الشعوبية ورد حججها وأن تلك الدعوى بنظره تعتمد على المفاخرة على العرب والحط من شأنهم وبخسهم قدرهم بقوله وليس أدعى إلى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها إلا فخور إلا قليل وأي شيء أغيط من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك! وهو مقر بأنه صار شريفاً بعتقك إياه،[٥٠] مما يبين المدى الذي وصلت إليه حالة الشعوبيين من التفاخر والعصبية التي لا ينجم عنها سوى الفساد والشر، وليس بأدل على ذلك من تمرد العتقاء على أولياهم، وأدهى من ذلك إقرارهم بأنهم صاروا اعتقاء بفضلهم.

و رفض الجاحظ[٥١] بازدراء العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التي لا تبقى ديناً إلا أفسدته ولا ديناً إلا أهلكتها وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية، وما صار إليه الموالي من الفخر على العجم، والعرب، وبرزت الشعوبية من جهة وبرز الرد عليها من جهة أخرى، واحتدمت المعارك الكلامية بين الطرفين ونقل الجاحظ الكثير من مطاعن الشعوبية على العرب منها: أوّلاً، طعنت الشعوبية[٥٢] على أخذ العرب في خطبها المختصرة،[٥٣] والقنا،[٥٤] والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس، والخد في الأرض والإشارة بالقضيب بكلام مستكره، وطعنت الشعوبية كذلك

على قضيب النبي ﷺ وعترته، وعلى عصاه وخصرته،[55] تقول فيه : القضيب للإيقاع،[56] والقنا للبقار، والعصا للقتال والقوس للرمي، وليس بين الكلام وبين العصا سبباً ولا بينه وبين القوس نسب، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر، ويعترضا على الذهن أشبه، وليس في حملها ما يشحذ الذهن، ولا في الإشارة بهما ما يجلب اللفظ، وحمل العصا بإخلاف الفدادين أشبه وهو بجفاء العرب وعنجهية أهل البدو، ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل وبه أشبه،[57] أي أن الشعوبية ومن يتعصب للعجمية التحقير من شأن العصا عند الغرب لأنهم رأوا أن العصا والقضيب كانا محط اهتمام الخلفاء والأمراء والخطباء العرب آنذاك ووضعوا العرب بأنهم أجلاف بدور رعاة لا يخرج استخدامهم للعصى والقضيب والقنا عن رعي الإبل في الصحراء وكان رد الجاحظ[58] على قولهم هذا كما يلي :

أ. إن أخذ العرب للعصا مأخوذ من أصل كريم ومعدن شريف ومن المواضيع التي لا يعيبها إلا جاهل ولا يتعرض عليها معاند بدليل ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾،[59] وكذلك قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ﴾،[60] والمنساة هي العصا، وعمد الجاحظ إلى ذكر سيدنا سليمان عليه السلام لأنه من أبناء العجم والشعوبيون أميل إليه، على فضائلهم أحرص، ولما أعطاهم الله أكثر وضعاً وذكراً. ب. بين الجاحظ[61] أن اتخاذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للعصا لم يكن بداعي الكبر أو التزين، بل كانت العصا عوناً لهم واتخذوها لراعي حاجتهم إليها في قضاء حوائجهم، بينهما الرهبان تتخذ العصى من سقم ولا نقصان في جارحة، وأنه لابد للجاثليق،[62] من قناع ومن مضلة وبرطلة ومن عكاز ومن عصا، من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبراً أو عجزاً في الخلقة.ثانياً، نظراً لشهرة فن الخطابة[63] عند العرب عمد

الشعوبيون إلى التحقير من شأن العرب في ذلك فادعوا أن الخطابة للفرس وأنهم أكثر من أشتهر بها وأنها لليونان الذين اشتهروا بالمنطق الذي جعله الحكماء ليعرفوا به السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، بينما العرب كانوا برأيهم رعاة بين الإبل والغنم وأنهم حملوا العصا في الحضر لأنهم الحرب، وأنهم لطول اعتبارهم لمخاطبة الإبل، جفا كلامهم، وغلطت مخارج أصواتهم، حتى كأنهم إذا خاطبوا محدثيهم ليظن السامع أنهم يخاطبون الصماء جمع أصم، ورد الجاحظ[٦٤] على ما ذكره الشعوبيون بأن العرب لم يعرفوا بالخطابة والبلاغة مبيناً الآتي: ١. أن الهند معاني مدونة وكتب مخلدة إلا أنها لم تنسب إلى عالم موصوف أو رجل معروف، بل هي كتب توارثها الأبناء على الآباء على وجه الدهر. ٢. بالرغم من أن اليونانيين اشتهروا بالمنطق والفلسفة، إلا أن صاحب المنطق (أي أرسطو) نفسه لم يكن موصوفاً بالبيان بالرغم من علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه. ٣. البلاغة والخطابة التي اشتهر بها الفرس لم تكن في أصل فطرهم، بل اصطنعوها عن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأوّل وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم، والجاحظ يشك بصحة رسائل الفرس التي بأيدي الناس أهي للفرس أم لا، وأنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولد،[٦٥] مع وجود من يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل أمثال ابن المقفع.[٦٦] ٤. أن الخطابة والبلاغة[٦٧] عند العرب بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إطالة فكراً ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكرم، وإلى رجز يوم الخصام، أو غير ذلك من المواقف، فتاتيه المعاني إرسالاً أي أفواجاً، وتنتال عليه الألفاظ انتيالاً ثم لايقيده على نفسه، ولايدرسه أحد من ولده، وكانوا آميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون أي يتصرفون بمقتضى الطبع أي بما طبعهم الله عليه في ذلك،[٦٨] وأنه ليس بأدل على ذلك من قول الجاحظ:[٦٩] بأنه متى أخذت بيد الشعوب فادخلته بلاد الأعراب الخلص، ومعدن الفصاحة التامة،

ووقفته على شاعر مغفلق- أو خطيب مصقع علم أن الذي قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عياناً فهذا فرق مابيننا وبينهم.

وألقى الجاحظ باللائمة على العلماء وأهل الفكر الذين تركوا المجال لمثل هؤلاء المولدين الذين عمدوا إلى العبث والتشويه للفكر الإسلامي بقوله : وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والعبر، وأرباب النحل والعلماء وأهل البصر بمخارج الملل، وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء، وكتب الفراغ والخلعاء، وكتب الملاهي والفكاهات... ولا يوزنون ما عليهم ولهم ولا يخافون تصفح العلماء، والأئمة الأدباء، وبعض وكراهية الأكفاء والجلساء،[٧٠] الأمر الذي يفهم منه أن الشعوبية تسللت إلى أقلام الكتاب وأن الجاحظ حاول جاهداً مقاومة الشعوبية بكافة صورها خصوصاً عندما يكون هؤلاء الشعوبيون من أعوان الخلفاء والذين سلموا مقاليد السلطة، وأن السبب في انتشار مثل أولئك الكتّاب إغفال العلماء وأهل النظر لهم بحيث تركوهم هكذا ويرى الجاحظ أن أوّل شيء يعمد إليه هؤلاء الشعوبيون من الكتّاب الطعن على القرآن الكريم في تأليفه، والقضاء عليه بتناقضه، ثم يظهرون ظرفهم بتكذيب الأخبار، وتهجين من نقل الآثار، ولا يبقى لمثل هؤلاء منهم سواء ذكر سيرة ملوك آل ساسان ومآثرهم،[٧١] مما يبين أن الذين أثاروا البحث في حكم القرآن ومتشابه، تعود أصولهم إلى الشعوبيون، كذلك أثار الجاحظ قضية قد يكون لها الأثر الخطير على التاريخ الإسلامي من قبل أولئك الشعوبيون الذين شوهوا تاريخ الفكر الإسلامي بتكذيب بعضه من جهد والاستهجان والتشكيك فيمن نقل تلك الآثار من جهة أخرى.

ووصفهم الجاحظ أي الكتاب الشعوبيين في أثناء جلوسه يوماً في بعض الدواوين، وبعد تأمله لهم بقوله : خلق حلوة وشمائل معشوقه، وتطرف أهل الفهم، ووقار أهل العلم، فإن ألقيت عليهم الإخلاص وجدتهم كالزبد يذهب جفاء، وكنبته الربيع يحرقها الهيف من الرياح، لا يستندون من العلم إلى وثيقة، ولايدينون بحقيقة، أخفر الخلق لأماناتهم، وأشراهم بالثمن

الخسيس لعهودهم، الويل لهم مما يكسبون،[٧٢] وذكر الجاحظ[٧٣] هؤلاء الكتّاب حتى في حالة أن أحدهم أراد أن يرجع عما هو عليه فإن أقرانه لن يدعوه وشأنه، بل سيقضون عليه بالإدبار في معيشته، والحرفة في صناعته حتى يعود إليهم.

ويرى الجاحظ[٧٤] أن ملة أولئك الشعوبيين في أنه تنقدح في قلوب الناس عدوات وأضعان بالتجانس الذي يكون بين المتفقين في الصناعات، وربما كانت العدواة من جهة العصبية فإن عامة من ارتاب بالإسلام، وإنما كان ذلك رأى الشعوبية، والتمادي وطول الجدال المؤدي إلى القتال فإن من أبغض شيئاً، أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقلُ به حتى ينسلخ منه الإسلام إذا كان العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف، أي أن الجاحظ يعزو بدايات الشعوبية إلى البغض والحسد الناجمين عن العصبية المقيتة وأن تلك العصبية نمت بطول الجدال المؤدي إلى القتال بين الشعوبيين وغيرهم - وأن أغلب من شكك في الإسلام وحاول النيل منه عمد إلى ضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة من الشعوبيين، لذلك يقدم الجاحظ نصحة لمن يتصفح كتب أولئك الشعوبيين بقوله : ودعني مما لا نراه إلا في الأشعار المتكلفة والأخبار المولدة، والكتب الموضوعة، فقد قال بعض أهل زماننا ذهبت المكارم الأمن الكتب، فخذ فيما تعلم، ودع لنفسك مما لا تعلم،[٧٥] أي يجب على القارئ أن يميز في أثناء قراءته بين ماهو أصلي وما هو موضوع مولد وأن تكون له العين الناقدة والبصيرة النافذة لإدراك مثل تلك الأمور على أنه يشق الأمر على الجاحظ في بعض الأحيان بحيث يمتلكه اليأس فيرى أن الحفظ ذهب بموت أهله وأن الشعر لما كسد أفحم أهله، لما دخل النقص على كل شيء أخذ الشعر منه بنصيبه، وذلك بسبب تحول الدولة في العجم، ومن المعروف عن العجم أنهم لايحيطون بالأنساب ولايحفظون المقامات.

ومما ذكره الجاحظ[٧٦] طعن الشعوبية على كل ما كل، ومعاش العرب بقوله، الشعوبية والآزاد مردية المبغوضون لآل النبي وأصحابه ممن فتح

الفتوح، وقتل المجوس وجاء بالإسلام، وتزيد في جشوبه عيشهم، وخشونة ملبسهم، وتنقص من نعيمهم، ورفاهية عيشهم، وهم من أحسن الأمم حالاً مع الغيث، وأسوائهم حالاً إذا خففت السحاب حتى ربما طبق الغيث بالكلاء والماء،[77] ورد الجاحظ على تهجم الشعوبيين هذا وطعنهم على العرب بأنهم لم يعرفوا طيب العيش وطيب الأكل وبأنهم أهل بادية ليس إلا بالآتي : أوّلاً،[78] أن الناظر إلى أشعار العرب يدرك بأنهم أكلوا الطيب وعرفوا لأن الناعم من الطعام لايكون إلا عند أهل الثراء. ثانياً-[79] أن الجوع وجشوبة العيش ليس بعيب لأنه يصيب القوم في باديتهم ومواضعهم من الجهد مالم يسمع به في أمة من الأمم ولا في ناحية من النواحي وإن أحدهم حتى يشد على بطنه الحجارة، وحتى يعتصم بشدة معاقد الإزرار ويترع عمامته من رأسه ليشد بها بطنه، وإنما عمامته تاجه، مما يدل ذلك على اعتزاز العربي بقيمه ومبادئه وأن كلاً من الجوع أو الترف لايؤثران على مبادئه الأمر الذي يتضح من خلال مواجهة الجاحظ لشعوبية الكتاب أن الجاحظ وقف بمواجهتهم للحط من شأنهم معتزاً بعروبته وبالإسلام، كاشفاً مآربهم بكسره لقناعهم الذي يختبئون خلفه مظهرين الإسلام ومبطنين الكفر والكره للإسلام - مبيناً للعامة قبل الخاصة من الناس حقيقة ماعليه أولئك الشعوبيون.

وأن الجاحظ كان أقدم من واجه أولئك المتشدقين بثقافة الأعاجم ويتحدثون بلسانهم منسلخين بذلك عن الثقافة الإسلامية الأصلية التي تحمل في طياتها كنوزاً لايدركها مثل هؤلاء الذين يجهلون تماماً عراقة الحضارة الإسلامية بالتشكيك فيها وتفتيتها بنسبتها إلى الأعاجم لزعزعة الثقة بها في الوقت الذي يعمد مثل هؤلاء إلى إرساء دعائم الثقافة الأعجمية بتجسيدها ونسبة كل فكرة وحضارة إليها، ومما يلاحظ أن شعوبية الكتّاب ظهرت في الفترة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية وباتت تشكل خطراً على أولئك الشعوبيين ومثلهم فلم يجدوا طريقاً للانتقاص من قدر الحضارة العربية الإسلامية إلا بضربها من خلال

بعض المولدين والأعاجم الذين دفعهم حقدهم الدفين على العرب والمسلمين وحب المال وخساسة أرزاقهم إلى تأليف الكتب التي تهدف إلى تشويه التاريخ الإسلامي وتزويره بالدرجة الأولى وكان الجاحظ كما أسلف الذكر خير من واجه هؤلاء وبين حقيقتهم للآخرين وكذلك مما طعن به الشعوبيون على العرب فيما يتعلق بشؤون الحرب:[٨٠] أوّلاً، أن العرب لايقاتلون بالليل وليست لهم خبرة بشئون الحرب وتدابيره كالإيقاع بالقوم في جوف الليل وهم غارون، ولايعرفون الكمين للانقضاض منه على العدو. ثانياً- أن العرب لايعرفون شيئاً عن آلات الحرب من مجانيق،[٨١] ودبابات،[٨٢] ولا الرّكب،[٨٣] ولا الرماح. ثالثاً، أن العرب لا يجتمعون على راية واحدة وأمير واحد في الحرب واجتمعوا على أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء في الملك والحرب والزوجة.

أما رد الجاحظ[٨٤] على تلك المطاعن فهي كالآتي :أوّلاً، رد الجاحظ على قول الشعوبية أن العرب لايقاتلون بالليل مبيناً أنه لايوجد في حجج الشعوبية مايدل على أن العرب لا تقاتل بالليل بأنه يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن وهو الليل، وربما تمازج الفريقان، ورأى كل واحد منهم البيان وهو اسم من قولهم بيت القوم والعدو أوقع بهم، ومن ثم يقاتل الفرس إذا حاولوا الإيقاع به. ثانياً، رد الجاحظ[٨٥] على قول أن العرب أجلاف لايعرفون الركب بأنه تم الإجماع على أن الركب كانت قديمة إلا أن ركب الحديد لم تكن في العرب إلا في أيام الأزراقة وكانت العرب لاتعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها في الركب، إنما كانت تترو نزواً، وكانت العرب لا تدع اتخاذ الركاب للرجل فكيف تدع الركاب للسرج؟ ولكنهم كانوا إن اتخذوا الركب فإنهم كانوا لا يستعملونها إلا عندما لابد منه كراهة أن يتكلوا على بعض مايورثهم الاسترخاء والذلة، مضاهئين بذلك أصحاب الترفه والنعمة. ثالثاً، رد الجاحظ[٨٦] على قول الشعوبية بأن العرب لايعرفون الرماح بأن ما ذكروا من شأن رماح العرب فلها الأمر في ذلك مايتوهمون لأن العرب لهم خبرة

بأنواع الرماح وتسمياتها واستخداماتها المختلفة.

أما عن الجانب المسلح من حركات الشعوبيين مثله على سبيل المثال بابك الخزمي في ثورته على الخليفة العباسي المعتصم وكذلك الغلاة من الشيعة الذين كونوا جزءاً مهماً من أنصار الدعوة العباسية، والغلاة فرقة من الشيعة أظهرت الإسلام وأبطنت الكفر والتمسك بالديانات الوثنية القديمة التي كانت عليها - ورأى الغلاة في الدعوة العباسية الممر الآمن الذين يتسللون عبره لكي يحققوا هدفهم الأوّل والأساس ألا وهو النيل من الدين الإسلامي والقضاء عليه، وذكر الجاحظ إحدى فرق الغلاة وهم الخناقين[87] الذين ظهر نشاطهم في أواخر الدولة الأموية[88] واستمر نشاطهم المرعب حتى أيام المهدي ١٧٠هـ، وذكر الجاحظ[89] كذلك أن نشاطهم تركز في الكوفة وما حولها من البلدان، وأنهم لجأوا إلى أبشع الوسائل لقتل الناس وإرهابهم، ونقل الجاحظ بدقة متناهية الكيفية التي كان عليها الخناقون[90] بقوله :

"إن الخناقين يظاهر بعضهم بعضاً، فلا يكونون في البلاد إلا معاً، ولا يسافرون إلا معاً فربما استولوا على درب بأسره، أو على طريق بأسره، ولايترلون إلا في طريق نافذ، ويكون خلف دورهم إما صحاري، وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك،[91] وهذا فيما يتعلق بمعاشهم أما عن الطريقة البشعة التي يغتالون بها الناس فذكر الجاحظ، أنه في كل دار من ديارهم كلاب مربوطة ودفوف وطبول، ولايزالون يجعلون على أبوابهم معلم الكتاب منهم فإذا خنق أهل دار منهم إنساناً، ضربت الدفوف، وضرب بعضهم الكلاب، فسمع المعلم فصاح بالصبيان انبحوا، وأجابهم أهل كل دار بالدفوف والصنوج، كما يفعل نساء أهل القرى، وهيجوا الكلاب فلو كان المخنوق حماراً، لما شعر بمكانه أحد".[92]

الخلاصة

يتضح مما سبق : أوّلاً- أن الجاحظ كان دقيقاً في نقله لتلك الأحداث الرهيبة التي كانت بفعل الشعوبيين لبيان دورهم في التاريخ

الإسلامي، ومدى فداحة وبشاعة الأساليب التي اتخذوها من القتل غيلة للقضاء على خصومهم من المخالفين لهم، وإن طريقة معاشهم وأماكنهم أكبر دليل على الخوف الذي يمتلك نفوسهم نتيجة لأعمالهم الرهيبة تلك. ثانياً- تصدى الجاحظ لخطر الشعوبيين الذين كانوا من النتائج السلبية للتحولات التي حدثت في العصر العباسي والذين أرادوا أن يكونوا قوة جذب إلى الخلف حيث الديانات الوثنية عاملين على إحيائها ونخر العقيدة الإسلامية بالانتقاص من قدرها وبث الفتن والدسائس التي تضعف من قوة الدين الإسلامي الحنيف. ثالثاً- أن العراق كانت ميداناً خصباً لمثل أولئك الشعوبيين لتعدد الثقافات والأعراف بها ولأن بغداد كانت تمثل عاصمة الخلافة، والكوفة والبصرة، علامتين مميزتين في تاريخ الفكر الإسلامي.

الهوامش:

١. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، تعليق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، ١٩٩٢، ص٤٣٩-٤٤٠.
٢. سورة الحجرات، الآية ١٣.
٣. الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م، ص٤٨٢-٤٨٣.
٤. الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٩٤، ص١٨٦.
٥. الجاحظ، البيان والتبين، ج٣، تحقيق، عبدالسلام هارون، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ص٥-٦.
٦. الجاحظ، *العثمانية*، الرسائل السياسية، تحقيق علي أبو ملحم، ص٢٧٣-٢٧٥.
٧. سورة البقرة، الآية ٤٨.
٨. سورة الدخان، الآية ٤١.
٩. المولي في الاصطلاح من المولاة : بيانه أن شخصاً مجهول النسب أخي معروف النسب ووالي معه فقال : إن جنت يدي جناية فيجب ديتها على عاقلتك، وإن حصل لي مال فهو لك بعد مولى، فقبل هذا القول مولاة، والشخص المعروف مولى الموالاة والولاية : قرابة حكمية حاصلة من العتق أو المولاة : انظر الجرجاني، علي بن محمد، *التعريفات*، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١، ص ص١٢٤-١٣٢.
١٠. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٣-٢٧٥.
١١. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٧-٢٧٨.
١٢. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٨.
١٣. الذين أشاروا على الخليفة عمر بن الخطاب بتلك المشورة هما أبو سفيان بن حرب، حكيم بن خزام.
١٤. فرض لمن شهد بدراً في ستة الآلف أي ساوي في العطاء بين القادة ومواليهم فكان

عطاء طلحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح وعطاء بلال وسالم مولي أبي حنيفة على سواء، الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٨.

١٥. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٨.

١٦. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٧٨.

١٧. الجاحظ، *العثمانية*، ص ص ٢٧٩-٢٨٢.

١٨. الجاحظ، *العثمانية*، ص٢٨٠.

١٩. حيث يذكر المسعودي أنه في فترة الحكم العباسي أوّلاً غلبة النفوذ الفارسي على الحياة السياسية فكان منهم الوزراء والقادة وكتاب الدواوين، ثم غلبة النفوذ التركي إبان خلافة المعتصم فالمتوكل، وكانا من أمين تركيين وأقدم الأتراك على قتل المتوكل، والمنتصر من بعده وخلع "المؤيد" من بعده وتنصيب المستعين، انظر المسعودي، *التنبيه والإشراف*، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨١، ص٣١٣.

٢٠. الجاحظ، *البيان والتبين*، ج٣، ص٣٢١.

٢١. يبدو العصر العباسي الأوّل عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، ثم يليه العصر العباسي الثاني عام (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، فالثالث عام (٣٣٩هـ/٩٤٥م)، فالرابع عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م).

٢٢. الجاحظ، *العثمانية*، ص٤٧٥.

٢٣. الفتح بن خاقان هذا هو وزير المتوكل العباسي، وكان أديباً شاعر فصيحاً بارع الذكاء، وكانت له خزانة كتب حافلة وله مؤلفات منها :- *كتاب اختلاف الملوك*، و *كتاب الصيد والجارح*، و *كتاب الروضة والزهد*، وقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ. انظر ابن النديم، محمد بن اسحاق، *الفهرست*، تحقيق رضا جدو، طهران، ١٩٧١، ص١٦٩-١٧٠.

٢٤. إبراهيم حسن، حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، ج٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٦٤، ص١٠-١١.

٢٥. الجاحظ، *العثمانية*، ص٤٨٠.

٢٦. حيث كانت المراكز الرئيسية للدعوة تتمثل في الحميمة قرية العباسيين بالشام وهي الرأس للدعوة، ثم الكوفة بالعراق وبها شيعة علي، ثم خرسان وهي المسرح العملي للدعوة، أما الكوفة نقطة الاتصال بين الحميمة وخرسان، انظر أحمد شلبي، *التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، ج٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠، ص٣٠-٣١.

٢٧. الجاحظ، *مناقب الترك*، الرسائل السياسية، تحقيق علي ابن ملحم، ص٤٧٩-٤٨١.

٢٨. أختلف في أصل أبي مسلم الخرساني : فمن الناس من رأى أنه عربي، ومنهم من رأى أنه كان عبداً فاعتق منهم من رأى أنه كان قهرماناً لإدريس بن إبراهيم العجيلي ثم آل أمره إلى أن اتصل بمحمد بن عيسى، ثم بإبراهيم بن محمد الإمام فأنفذه إبراهيم إلى خرسان، وأمر أهل الدعوة بإطاعته والانقياد إلى أمره، فقويت شوكته، وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد وكان لأبي مسلم حروب كثيرة فرق بين اليمانية والنزارية، وأظهر السواد داعياً للعباسيين في خرسان، انظر المسعودي: *مروج الذهب ومعادن الجوهر*،

ج٣، بـــيروت، دار الكتـــاب، ١٩٨٢، ص٢٥٤-٢٥٥.

٢٩. الجاحظ، *العثمانية*، ص٤٧٩.

٣٠. إبراهيم حسن، حسن، *تاريخ الإســـلام*، ج٢، ص١٤.

٣١. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٧٩.

٣٢. وفيما يتعلق بالنسب بين الفرس والعرب الذي يتفاخرون به فهـــو يعـــود إلى أن الحسين وهو أصغر ولد فاطمـــة بنـــت الرسول، كان تزوج من شهر بانوه بنت يزد جر الثالث آخر ملوك آل ساسان.

٣٣. المسعودي، *مـــروج الـــذهب*، ج٣، ص ص٢٧٢-٤٢٤، ج٤، ص١٧٨.

٣٤. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٩٠.

٣٥. وذكر المسعودي أن المعتصم وأمه تركية أوّل من قرب الأتراك إليه، فكان منـــهم في جيش الخلافة، أربعة الألف من أشـــد المقاتلين، المسعودي، *مـــروج الـــذهب*، ص٥٣.

٣٦. الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الرســـل والملوك*، ج١٠، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار المعارف، مصـــر، ١٩٦٧، ص٢٥٦.

٣٧. الجاحظ، *الأوطان والبلـــدان*، الرســـائل السياســـية، تحقيـــق علـــي أبـــوملحم، ص١١٥.

٣٨. الجاحظ، *مناقب الأتـــراك*، ص ص٤٧٨، ٤٩٥ ومابعدها.

٣٩. كرد علي ، محمد، *عمـــرو بـــن بحـــر الجاحظ*، تونس، سوسة، منشورات دار المعـــارف للطباعـــة النشـــر، ١٩٩١، ص١٤٥.

٤٠. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٧٧-٤٧٨.

٤١. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٤.

٤٢. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص ٤٨٥-٥٢٢.

٤٣. المسعودي، *التنبيه والإشراف*، ص٤٢١.

٤٤. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٦.

٤٥. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٢.

٤٦. من أولئك القواد الذين ذكرهم الجـــاحظ سليمان الخزاعي أحد النقباء الإثنى عشـــر من دعاة الدولة العباســـية وأنصـــار أبي مسلم، وذكر أن أبا مسلم شك في أمـــره وأمر بضرب عنقه في ســـنة ١٣٢هـــ، الطبري، *تاريخ الرســـل والملـــوك*، ج٧، ص٤٥٠.

٤٧. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٧٦.

٤٨. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٧.

٤٩. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٧.

٥٠. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٧.

٥١. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٧.

٥٢. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص٤٨٧.

٥٣. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج١، ص٣٨٣.

٥٤. المخضرة، ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عكاز أو قضيب أو ماشابه ذلك.

٥٥. القنا : الرمح.

٥٦. الخد : الشق من الأرض.

٥٧. الجاحظ، *البيان والتبيين*،ص٨٩-٩٠.

٥٨. الإيقاع إيقاع ألحان الغنا، وهو أن يوقـــع الألحان وبينها وسمي الخليل كتاباً من كتبه في ذلك *كتاب الإيقاع*.

٥٩. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج١، ص١٢.
٦٠. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج٣، ص٣١.
٦١. سورة طه، الآية ١٧-١٨.
٦٢. سورة سبأ، الآية ١٤.
٦٣. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٨٩-٩٠.
٦٤. الجاثليق، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى، وللبرطلة بفتح الباء وضم الطاء وتشديد اللام : كلمة نبطية وليس من كلام العرب، والمراد بها القلنسوة التي تدار عليها العمامة، الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج٣، ص٩٠.
٦٥. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص١٤.
٦٦. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٢٧-٢٨.
٦٧. الأسلوب المولد هو أسلوب يمتاز بالنصاعة والدقة في اختيار الألفاظ ووضعها في أمكنتها الصحيحة وبث المعاني المستحدثة فيها دون عوج أو تعقيد، انظر شوقي ضيف، *البلاغة تطور وتاريخ*، مصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥، ص ٢٠.
٦٨. ابن المقفع اسمه روزبه قبل إسلامه وعبدالله بعد إسلامه مولده سنة ١٠٦هـ لقبه ابن المقفع نسبة إلى أبيه عامل الخراج كنيته أبو عمرو، أبو محمد بعد أن أسلم، شهد ابن المقفع سقوط الدولة الأموية، وقتل مع سفيان بن معاوية في عهد الخليفة العباسي المنصور سنة ١٤٧ه، ابن النديم، *الفهرست*، ص ١٨٦- الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ج٧، ص٤٥٦-٥٠١، ج٨، ص٩.
٦٩. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٢٧-٢٨.
٧٠. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج٣، ص٢٩.
٧١. الجاحظ، *الحيوان*، ج١، تحقيق يحيى الشامي، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٧، ص٢٥.
٧٢. الجاحظ، *ذم أخلاق الكتاب*، الرسائل السياسية، تحقيق علي أبو ملحم، ص٦٨٠.
٧٣. الجاحظ، *ذم أخلاق الكتاب*، ص٦١١.
٧٤. الجاحظ، *ذم أخلاق الكتاب*، ص٦٠٩.
٧٥. الجاحظ، *الحيوان*، ج٧، ص٦٠١.
٧٦. الجاحظ، *البخلاء*، ص١٣٨.
٧٧. الجاحظ، *البخلاء*، ص١٣٨.
٧٨. الجاحظ، *مناقب الترك*، ص١٧٣.
٧٩. الجاحظ، *البخلاء*، ص١٧٣.
٨٠. الجاحظ، *البخلاء*، ص١٧٣.
٨١. الجاحظ، *البخلاء*، ص١٧٣.
٨٢. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص١٧-١٨.
٨٣. المجانيق : جمع منجنيق، معرب من الفارسية "منحنيك" وهذه آلة ترمي بها الحجارة في القتال، انظر، الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج٣، ص١٧.
٨٤. الدبابة، آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن، المحاصر لينقبوه وتقيهم مايرمون به من فوقهم، الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج٣، ص١٧.
٨٥. الرّكب : ما يضع فيه الرجل رجله، انظر الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٢٣-٢٤.
٨٦. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص١٩-٢٠.
٨٧. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٢٣-٢٤.
٨٨. الجاحظ، *البيان والتبيين*، ص٢٣-٢٤.

٨٩. الخناقين : فرقة من غلاة الشيعة ظهرت في الكوفة وماحولها كالمغيرية والمنصورية خاصة، ويشمل ذلك جماعات أخرى من السبئية، ولكن الأكثر شهرة المنصورية أتباع المنصور العجلي، وكان المنصور يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم، انظر النوبختي، حسن بن موسى، *فرقة الشيعة*، تحقيق عبدالمنعم الحنفي، القاهرة، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٢، ص٤٩.

٩٠. النوبختي، *فرقة الشيعة*، ص٥٠.

٩١. الجاحظ، *الحيوان*، ج٢، ص٣١٨-٣١٩.

٩٢. الجاحظ، *الحيوان*، ج٢، ص ٣١٨-٣١٩.

المراجع:

ابن منظور، *لسان العرب*، ج٣، تعليق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، ١٩٩٢.

الكيالي، عبدالوهاب، *موسوعة السياسة*، ج١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، *البخلاء*، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٩٤.

الجاحظ، *البيان والتبين*، ج٣، تحقيق، عبدالسلام هارون، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

الجاحظ، *العثمانية*، الرسائل السياسية، تحقيق علي أبو ملحم.

الجرجاني، علي بن محمد، *التعريفات*، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١.

المسعودي، *التنبيه والإشراف*، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨١.

ابن النديم، محمد بن اسحاق، *الفهرست*، تحقيق رضا جدو، طهران، ١٩٧١.

إبراهيم حسن، حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، ج٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٦٤.

شلبي، أحمد، *التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، ج٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠.

الجاحظ، *مناقب الترك*، الرسائل السياسية، تحقيق علي ابن ملحم.

المسعودي: *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ج٣، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٢.

الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الرسل والملوك*، ج١٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧.

الجاحظ، *الأوطان والبلدان*، الرسائل السياسية، تحقيق علي أبوملحم.

كرد علي ، محمد، *عمرو بن بحر الجاحظ*، تونس، سوسة، منشورات دار المعارف للطباعة النشر، ١٩٩١.

ضيف، شوقي، *البلاغة تطور وتاريخ*، مصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥.

الجاحظ، *الحيوان*، ج١، تحقيق يحيى الشامي، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٧.

الجاحظ، *ذم أخلاق الكتاب*، الرسائل السياسية، تحقيق علي أبو ملحم.

النوبختي، حسن بن موسى، *فرقة الشيعة*، تحقيق عبدالمنعم الحنفي، القاهرة، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٢.